

THE MEANING OF THE CONTEXT IN SURAT AL-MURSALAT

Fatma AL-NAIMI¹

Dr, Qatar University, Qatar

Abstract

This research deals with Surat al-Mursalat and its study is a contextual semantic study, where the research tries to answer a major question about the semantic and contextual impact of the surah of the messengers of the Holy Qur'an, Qur'anic studies have taken an important place among linguistic and semantic studies; because of their link with the Holy Quran and its place in the souls of people, and semantic studies are one of these studies; for its importance in revealing the meanings of the text and the semantics of its words, and this research came to show the significance of the context in Surat al-Mursalat and related to it in the Qur'anic context and the semantics that emerged from it, and opinions Scientists and interpreters about it and the statement of the differences of its semantics lexically, grammatically, morphologically, and contextually.

Key words: Significance, Context, in Surah, Al-Mursalat.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.17.18>

¹  fatmasalnaimi@qu.edu.qa, <https://orcid.org/0000-0002-5212-9186>

دلالة السياق في سورة المرسلات

فاطمة سعد النعيمي

د، جامعة قطر، قطر

الملخص

يتناول هذا البحث سورة المرسلات ودراستها دراسة دلالية سياقية، حيث يحاول البحث الإجابة عن سؤال رئيس حول الأثر الدلالي والسياقي المترتب في سورة المرسلات من القرآن الكريم، أخذت الدراسات القرآنية مكانةً مهمةً بين الدراسات اللغوية والدلالية؛ لارتباطها بالقرآن الكريم ومكانته في نفوس الناس، والدراسات الدلالية إحدى هذه الدراسات؛ لأهميتها في كشف معاني النص ودلالات ألفاظه، وقد جاء هذا البحث لبيان دلالة السياق في سورة المرسلات وما يتعلق بها في السياق القرآني والدلالات التي انبثقت عنها، وآراء العلماء والمفسرين حولها وبيان اختلافات دلالاتها معجمياً، نحويّاً، صرفياً، وسياقياً.

الكلمات المفتاحية: دلالة، السياق، في سورة، المرسلات.

المقدمة

تدور سورة المرسلات حول القيامة وأهوالها ومشاهدها وشدائدها التي تحيط بالمكذابين، وبردها وسلامها وروحها وظلالها التي تكتنف المتقين وتلك المشاهد التي سبقت تذكرة لأولي الأبواب، وعبرة لأولي الأبصار، وإنذاراً للظلمة الأشرار، والسورة من مستهلها إلى ختامها تقيم الحجج والبراهين على أن هذا اليوم واقع لا محاله حيث بدأت بالقسم بأنواع الملائكة، المكلفين بتدبير شؤون الكون، على أن القيامة حق، وأن العذاب والهلاك واقع على الكافرين، وتحدثت عن وقت ذلك العذاب الذي وعد به المجرمون، وتناولت دلائل قدرة الله سبحانه الباهرة، على إعادة الإنسان بعد الممات، وإحيائه بعد الفناء، وصورت مآل المجرمين، وما يلقون في النار من عذاب ونكال، وتحدثت عن مرجع المؤمنين، وذكرت ما أعده الله تعالى لهم من أنواع النعيم والإكرام، وختمت ببيان سبب امتناع الكفار عن عبادة الله الواحد القهار. ويدل السياق القرآني على أنه "تتابع المفردات والجمل والتركيب القرآنية المترابطة لأداء المعنى" (المطيري، 2008). والدلالة السياقية في القرآن الكريم تعني ما: "تحملة نصوص لغوية لا بد من الاطلاع على طبيعة تأليفها وتركيبها ومعاني مفرداتها، وكلها تحتاج إلى معرفة لغوية ومعرفة في حدود زمنية معينة هي التي نزلت فيها" (العوادي).

ومن خلال آيات سورة المرسلات وسياقاتها القرآنية تناول البحث جوانب اللغة موظفًا إياها في فهم المعنى، حيث أن هذا المنهج يعين على فهم وتفسير الآيات القرآنية، حيث أشار العلماء إلى هذه القاعدة وهي تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما يعرف بالمنهج السياقي، والذي يشمل السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي (كنوش).

تمهيد:

الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي من أركان الإيمان، وهو سلوى المؤمن وزاده، وعلى ضوئه يضبط الإنسان سيره ويصحح سلوكه، فهو محور الحياة وقوامها.

والحديث عن اليوم الآخر تذكرة لكل أذن واعية، ورسالة إلى كل من له قلب، وهزة عنيفة لمن تواني عن الغاية التي من أجلها خلق، فهو إذار وإنذار وعبرة لأولي الأبصار.

ولقد عني القرآن الكريم بإبراز مشاهد القيامة وأهوالها، وتقرير حقائقها وتأكيد وقوعها.

يقول صاحب الظلال: "القضية قضية القيامة التي كان يعسر على المشركين تصور وقوعها والتي أكدها لهم القرآن الكريم بثتى المؤكدات في مواضع منه شتى. وكانت عنايته بتقرير هذه القضية في عقولهم، وإقرار حقيقتها في قلوبهم مسألة ضرورة لا بد منها لبناء العقيدة في نفوسهم على أصولها، ثم لتصحيح موازين القيم في حياتهم جميعًا. فالاعتقاد باليوم الآخر هو حجر الأساس في العقيدة السماوية، كما أنه حجر الأساس في تصور الحياة الإنسانية. وإليه مرد كل شيء في هذه الحياة، وتصحيح الموازين والقيم في كل شأن من شؤونها جميعًا.. ومن ثم اقتضت هذا الجهد الطويل الثابت لتقريرها في القلوب والعقول" (قطب، 1412).

وسورة المرسلات من السور المكية، موضوعها: القيامة وأهوالها ومشاهدها وشدائدها التي تحيط بالمكذابين، وبردها وسلامها وروحها وظلالها التي تكتنف المتقين، تلك المشاهد التي سبقت تذكرة لأولي الأبواب، وعبرة لأولي الأبصار، وإنذاراً للظلمة الأشرار.

والسورة من مستهلها إلى ختامها تقدم الحجج والبراهين على أن هذا اليوم واقع لا محالة.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما شريك؟ قال صلى الله عليه وسلم: (شبيبتني هود والواقعة والمرسلات و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾) (إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (الترمذي، 2009م) (الحاكم، 2014م).

وفي هذا الحديث ما يدل على كثرة قراءته صلى الله عليه وسلم لهذه السورة الكريمة، وعظيم تأثيره بها ووقع أثرها عليه هي وأخواتها من السور التي تبرز أهوال القيامة، وتصورها رأي العين.

هذه السورة نزلت في مكة، قال القرطبي: "مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ مدنية" (القرطبي، 1964).

والمعلوم أن الصلاة فرضت بمكة، لذا الراجح فيه أن السورة مكية كلها، ولعل هذا يدل على نزول السورة بعد السنة العاشرة من البعثة. وعدد آياتها خمسون آية في عدا الجميع، بلا خلاف في شيء منها (السخاوي، 1997م) (الداني، 1994م).

أما محورها الرئيسي فيدور حول القيامة: حتميتها، وتيقن وقوعها، وأهوالها العظام، ومواقفها المتباينة.

المناسبة بين اسم السورة ومحورها: اسم السورة الكريمة هي: سورة المرسلات، والمرسلات: الملائكة حين يتتابع إرسالهم بمهام جليلة، فيسارعون إلى القيام بها، وهذا يذكرنا بسرعة وتتابع أهوال القيامة ومواقفها المذهلة ومشاهدها العظيمة التي تجري بأمر وتدبير وتقدير من الخالق جل وعلا، وتلك مناسبة ظاهرة بين اسم السورة ومضمونها.

فسورة المرسلات من السور القرآنية التي تسلط الضوء على يوم القيامة، وتبرز أهوالها وتصور مشاهدها، وتبين وقع هذا اليوم الرهيب على المكذبين، ونسماته الحانية وظلاله الوارفة التي تكتنف المتقين.

والمناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها في مطلع السورة الكريمة تأكيد بالقسم على وقوع الساعة وتحقق الموعد، ثم في ختامها إنكار على المكذبين بيوم الدين مع تواتر حججه، وتجلي شواهد، وجلء آياته، فبأي حديث بعده يؤمنون، وبأي شيء يصدقون إن لم يؤمنوا ويصدقوا بهذا اليوم الحق!

وعن الصلة بين افتتاحية السورة ومضمونها وبين خاتمتها: يقول الإمام الرازي: "أعلم أنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها بالوجه العشرة التي شرحناها، وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار، وبين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأي حديث بعده يؤمنون" (الرازي، 1420 هـ).

أما الصلة بين سورة المرسلات، وسورة الإنسان: صلة واضحة جلية، حيث جاءت سورة المرسلات مقررّة لما جاء في سورة الإنسان من وعد ووعد، كما ورد الحديث فيها عن خلق الإنسان، وأسهب السورة الكريمة في الحديث عن عذاب الكفار بينما يرد فيها الحديث عن نعيم المؤمنين في لمحة سريعة، وفي هذا ما يدل على تكامل السور القرآنية وتنوعها: موضوعاً وأسلوباً وتناولاً.

وحول هذا المعنى يقول صاحب الظلال: "فأما الحقائق الموضوعية في السورة فقد تكرر ورودها في سور القرآن- والمكية منها بوجه خاص- ولكن الحقائق القرآنية تعرض من جوانب متعددة، وفي أضواء متعددة، وبطعوم ومذاقات متعددة، وفق الحالات النفسية التي تواجهها، ووفق مداخل القلوب وأحوال النفوس التي يعلمها منزل هذا القرآن على رسوله، فتبدو في كل حالة جديدة، لأنها تستجيب في النفس استجابات جديدة.

وفي هذه السورة جدة في مشاهد جهنم. وجدة في مواجهة المكذبين بهذه المشاهد. كما أن هناك جدة في أسلوب العرض والخطاب كله. ومن ثم تبرز شخصية خاصة للسورة. حادة الملامح. لاذعة المذاق. لاهثة الإيقاع!" (قطب، 1412).

فتتناسب مقاطع السورة الكريمة مع المحور العام لها، إذ تمضي السورة الكريمة بما يتواكب مع محور السورة ومقاصدها.

وكذلك بين مقاطع السورة بعضها مع بعض، فمقاطع السورة تنتظم في سلك واحد وتدور في فلك واحد، وهو الحديث عن مشاهد القيامة مع التركيز على أهوالها.

المناسبة بين مضمون السورة ومضمون ما قبلها، التناسب بين موضوع السورتين يتجلى في وجوه عديدة منها: حديث السورتين عن القيامة وأهوالها وعن مصير المكذبين، ويلاحظ توسع سورة المرسلات في هذا الموضوع. وحديث السورتين عن نعيم الجنة، ولقد توسعت سورة الإنسان في ذلك. وحديثهما عن خلق الإنسان، ليعرف الإنسان قدره ولا يغتر بذاته، وليوقن بقدرة الله تعالى.

ولما دارت السورة حول القيامة وأهوالها جاءت المقدمة مقررّة وقوعها بالقسم الذي جاء متناسباً مع المقسم عليه، كما تناسب مع السياق العام للسورة.

يقول صاحب الظلال: "هذه السورة حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار. وهي تقف القلب وقفة المحاكمة الرهيبة، حيث يواجه بسيل من الاستفهامات والاستنكارات والتهديدات، تنفذ إليه كالسهام المسنونة! وتعرض السورة من مشاهد الدنيا والآخرة، وحقائق الكون والنفس، ومناظر الهول والعذاب ما تعرض.

وعقب كل معرض ومشهد تلمح القلب المذنب لفحة كأنها من نار: «وَيْلٌ لِّلْمُكذِّبِينَ!» ويتكرر هذا التعقيب عشر مرات في السورة. وهو لازمة الإيقاع فيها. وهو أنسب تعقيب لملاحمها الحادة، ومشاهدها العنيفة، وإيقاعها الشديد.

وهذه اللازمة تذكرنا باللازمة المكررة في سورة «الرحمن» عقب عرض كل نعمة من نعم الله على العباد:

«فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان؟» ... كما تذكرنا باللازمة المكررة في سورة «القمر» عقب كل حلقة من حلقات العذاب:

«فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي؟».. وتكرارها هنا على هذا النحو يعطي السورة سمة خاصة، وطعماً مميزاً.. حاداً..

وتتوالى مقاطع السورة وفواصلها قصيرة سريعة عفيفة، متعددة القوافي. كل مقطع بقافية. ويعود السياق أحياناً إلى بعض القوافي مرة بعد مرة. ويتلقى الحس هذه المقاطع والفواصل والقوافي بلذعها الخاص، و عنفها الخاص. واحدة إثر واحدة. وما يكاد يفوق من إيقاع حتى يعاجله إيقاع آخر، بنفس العنف وبنفس الشدة.

ومنذ بداية السورة والجو عاصف ثائر بمشهد الرياح أو الملائكة: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (2) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُنْدًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفُصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ (14) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)﴾ [المرسلات: 1-15].

المبحث الأول: سياق القسم وجوابه في مشاهد القيامة وعلاماتها.

قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُنْدًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفُصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُصْلِ (14) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)﴾ [المرسلات: 1-15].

المطلب الأول: قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُنْدًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (7)﴾ [المرسلات: 1-7].

أقسم الله تعالى بالملائكة الذين أرسلهم، فجاءوا متتابعين لتحقيق أمره تعالى، مسرعين كالرياح العاصف في امتثال أمره تعالى، أو أرسلوا بالعرف أي بالمعروف فإنهم لا يأتون إلا بالخير والإحسان، فالعرف خلاف النكر أي أرسلهم للإحسان والمعروف، فإن هؤلاء الملائكة إن كانوا بعثوا للرحمة فمعنى الإحسان حينئذ ظاهر، وإن كانوا قد بعثوا لأجل العذاب فذلك إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله من الكفار لأجله.

ثم أقسم تعالى بالملائكة حال نشرهن أجنحتهن خضوعاً لأمر الله تعالى وإذعاناً وامتثالاً أو نشرن العلم في ربوع الأرض بأمر الله تعالى، ففرق بين الحق والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً، عذراً للمحقين ونذراً للمبطلين، أو القسم بالرياح المرسله بالخير والرياح العاصفة العاتية والرياح الناشرة للخير الجامعة للسحاب والمفرقة له، وفق تقدير الله تعالى، فتقع الأمطار وتنشر الأرض الميتة أي تحييها بالنبات، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْفَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (9)﴾ [فاطر: 9]، وعلى هذا فمعنى إلقاء الرياح ذكراً: أي تسبب له، فإن العاقل إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته ورحمته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا يَقُولُ سُنْءَاهُ لِيَلِدَ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأُخْرِجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57)﴾ [الأعراف: 57]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)﴾ [فصلت: 39].

أو ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُنْدًا أَوْ نُذْرًا (6)﴾ الملائكة: تلقي الوحي على الأنبياء عليهم السلام، ﴿عُنْدًا﴾ للمحقين ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ للمبطلين.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (7)﴾ هذا جواب القسم. والمناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: أقسم تعالى بالملائكة أو بالرياح، وكلاهما من دلائل قدرته وآثار رحمته، وشواهد عظمتها، فالملائكة خاضعون لأمره منقادون لحكمه وكذلك الرياح مأموره ومسيرة بتقديره وحكمته، وفي هذا دليل على إمكانية البعث والنشور للفصل بين الخلائق.

قال الشنقيطي: " المقسم عليه هو يوم القيامة، وهم مكذبون به؛ فأقسم لهم بما فيه إثبات القدرة عليه، فالرياح عرفاً تأتي بالسحاب تنشره ثم يأتي المطر، ويحيي الله الأرض بعد موتها.

وهذا من أدلة القدرة على البعث، والعاصفات منها بشدة، وقد تقتلع الأشجار وتهدم البيوت مما لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم عليها، وما فيها من الدلالة على الإهلاك والتدمير، وكلاهما دال على القدرة على البعث. ثم تأتي الملائكة بالبيان والتوجيه والإعذار والإنذار: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (7)﴾ (الشنقيطي، 1995 م).

ثم ذكر تعالى جملة من أهوال هذا اليوم ومواقفه فقال ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8)﴾ محقت أو ذهب نورها، أو أزيلت عن أماكنها بالانتثار، وأذهب ضوءها بالانكدار.

والفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط والنجوم نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده وجملة طمست مفسرة لا محل لها وفي جواب إذا قولان: أحدهما أنه محذوف تقديره فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون لدلالة قوله

إنما توعدون لواقع والثاني أنه لأي يوم أجلت على إضمار القول أي يقال لأي يوم أجلت فالفعل في الحقيقة هو الجواب، ومعنى طمست محيت ومحقت وذهب نورها (درويش، 1415 هـ).

{وَأِذَا السَّمَاءُ فُرْجَتْ (9)} تصدعت وتفتحت فكانت أبواباً، {وَأِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10)} كما ينسف الحب، وسيرت أجزاءها في الهواء كما في سورة " طه " قوله تعالى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107)} [طه:105-107].

{وَأِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ (11)} عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم بحصوله، فإنه لا يتعين لهم قبله، أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره، وقرأ أبو عمرو بواو مضمومة مبدلة من همز {وَقُنْتُ} على الأصل، وقرأ الباقون {أُقْنِتْ} بالهمز، ومعنى أقتت جعل هلا يوم القيامة وقتنا " (ابن الجزري) (ابن زنجلة) (أبي طالب، 1974 م).

{لَأَيَّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12)} الأمور المتعلقة بهؤلاء الرسل وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من صدقهم وظهور ما كانوا يوعدون الأمم إليه ويخوفونهم به من العرض والحساب ونشر الدواوين ووضع الموازين. ثم أجاب بأنهم أجلوا {لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13)} بين الخلائق، الفصل بين الحق والباطل، بين الكافر والمؤمن، بين المحسن والمسيء، بين الظالم والمظلوم. إضمار القول أي يقال لأي يوم أجلت فالفعل في الحقيقة هو الجواب (درويش، 1415 هـ).

قال ابن عاشور: " والفصل: تمييز الحق من الباطل بالقضاء والجزاء إذ بذلك يزول الالتباس والاشتباه والتمويه الذي كان لأهل الضلال في الدنيا فتتضح الحقائق على ماهي عليه في الواقع " (ابن عاشور، 1984 هـ).

{وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ (14)} ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله؟ استفهام سيق لبيان عظمة هذا اليوم وهوله.

فهما تصورنا ما يحدث يوم القيامة من انفجارات كثيفة وهزات عنيفة ومهما استشعرنا هول هذا اليوم العظيم، فليس العيان كالبيان!

{وَيْلٌ لِّيَوْمِئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)} فهذا موعدهم الذي استبعدوه تارة وتعجلوه تارة أخرى وكان يكذبون به.

سوِّغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، وعبرة الزمخشري: «فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين؟ قلت هو في أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم، ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به» ويومئذ ظرف أضيف إلى مثله وهو متعلق بويل أو صفة له والتنوين عوض عن جمل محذوفة تقتبس من السياق والتقدير يوم إذ طمست نجوم وكان ما بعدها، وللمكذبين خبر ويل (درويش، 1415 هـ).

تكررت آية «ويل يومئذ للمكذبين» في هذه السورة عشر مرات والسر فيها زيادة الترهيب، والتكرار في مقام الترغيب والترهيب مستساغ حسن لا سيما إذا تباينت الآيات السابقت على المكررة كما هنا.

المطلب الثاني: الهدايا المستتبطة:

1. بديع أساليب القرآن وتنوعها في الاستدلال على القيامة.
2. التناسب بين المقسم به والمقسم عليه سمة عامة من سمات الأسلوب القرآني.
3. لفت الأنظار إلى عالم الملائكة هذا العالم الرحيب وهذا الخلق العجيب، والاعتبار بوجوده فهو من شواهد العظمة ودلائل القدرة ومظاهر الإبداع وآيات الجمال في هذا الكون.
4. الرياح نعمة محسوسة وآية مشاهدة تدل على كمال قدرة الله تعالى وتدبيره.
5. دقة وروعة التعبير القرآني عن الآيات الكونية مع إيجاز العبارة وروعة النسق وحسن الاتساق.

المبحث الثاني: سياق مصارع الغابرين وسنن الله في المكذبين

لما أكد تعالى حقيقة البعث وإمكانيته بالقسم، دعا إلى النظر في أحوال الغابرين ومصارع السابقين، نظر اعتبار. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ (16) ثُمَّ نُثَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيَوْمَ يَوْمِنَا لِلْمُكَذِّبِينَ (19)﴾ [المرسلات: 16-19].

المطلب الأول: التفسير الإجمالي.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأُولِينَ (16)﴾ من الأمم الغابرة كقوم نوح وعاد وثمود، والهمزة للاستفهام التقريري لأن الاستفهام في الأصل إنكاري وقد دخل على نفي ونفي إثبات ويعبر عنه بالاستفهام التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم ونهك فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره نحن والأولين مفعول به وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتتبعهم فعل مضارع مرفوع استئنافاً أي ثم نحن نتبعهم والآخريين مفعول به ثان (درويش، 1415 هـ). ﴿ثُمَّ نُثَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ (17)﴾ أي نظراءهم ممن جاء بعدهم، ولم يعتبروا بهم كقوم لوط وقوم شعيب وقوم موسى. قال ابن عاشور: " والإهلاك: الإعدام والإماتة. وإهلاك الأوليين: بالاستئصال مثل إهلاك عاد وثمود، أو بما سن الله عليه نظام هذا العالم من حياة وموت" (ابن عاشور، 1984 هـ). ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الفعل. ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18)﴾ بكل من أجرم. كذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الفعل الفطيع نفعل وبالمجرمين متعلقان بنفعل (درويش، 1415 هـ). ﴿وَيَوْمَ يَوْمِنَا لِلْمُكَذِّبِينَ (19)﴾ يوم هلاكهم، حيث أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وعذبهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر.

المطلب الثاني: الهدايات المستنبطة:

1. النظر في أحوال الغابرين ومصارع السابقين، والتأمل في سننه تعالى في الأولين، ففي تداول الأمور وتبدل الأحوال وتغاير الأزمنة وهلال المكذبين عظة واعتبار.
2. عاقبة المكذبين ونهاية المجرمين هي الهلاك والخسران، والحسرة والحرمان.
3. استئصال المكذبين والانتقام منهم برهان جلي على كمال قدرته تعالى.

المبحث الثالث: سياق التأملات في خلق الإنسان والكون.

بعد الدعوة إلى النظر والاعتبار في مصارع الظالمين والتحذير من سيئهم الذي سلوه فأودى بهم إلى الهلاك وتلك هي المواعظ الصامته؛ إذ يكفي الإنسان الوقوف على آثارهم والنظر في أطلالهم وخرائبهم. تأتي دعوة أخرى إلى إمعان النظر وإعمال العقل في آيات الله الإنسانية والكونية فهي الشواهد الحية الناطقة.

المطلب الأول: التفسير الإجمالي

في هذه الآيات الكريمة دعوة إلى النظر والاعتبار، فكل ما يحيط بالإنسان من آيات يعد شاهداً ناطقاً وبرهاناً صادقاً على إمكانية البعث، ولو تأمل الإنسان في ذاته لأدرك كمال قدرته تعالى ولطائف حكمته.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20)﴾ نطفة مذرة ذليلة، فلماذا هذا الغرور والكبر! فالهمزة للاستفهام الإنكاري التقريرية ولم حرف نفي وقلب وجزم (درويش، 1415 هـ).

قال القشيري: " قوله جل ذكره: «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ»؟! أي: حقير. وإذ قد علمتم ذلك فلم لم تقيسوا أمر البعث عليه؟ ويقال: ذكّرهم أصل خلقتهم لئلا يعجبوا بأحوالهم فإنه لا جنس من المخلوقين والمخلوقات أشدّ دعوى من بنى آدم. فمن الواجب أن يتفكر الإنسان في أصله ... كان نطفة وفي انتهائه يكون جيفة، وفي وسائط حاله كنيف في قميص!! فبالحرى ألا يدل ولا يفتخر:

كيف يزوه من رجيعة ... أبد الدهر ضجيعة

فهو منه وإليه ... وأخوه ورضيعة

وهو يدعوه إلى الحشّ... بصغر فيطيعه؟!!! " (القشيري).

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21)﴾ أو دعناه في الرحم حتى اكتملت الأطوار.

﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (22)﴾ إلى مقدار الوقت الذي قدره الله تعالى لخروج الجنين من بطن أمه.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23)﴾ له أجله ورزقه وعلمه فنعم القادرون.

﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24)﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25)﴾ فهي جامعة لما فيها، ضامة لما عليها من أحياء وأموات فكلما أن الدور والقصور من من نعم الله على عباده ومنته، فكذا القبور، رحمة في حقهم، وسترًا لهم، وتكريماً لهذه الأجساد الهامدة، وحماية لها من الوحوش الضارية والطيور الكاسرة.

قال ابن عاشور: " فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك كالذي يموت في سفينة بعيدة عن مراسي الأرض أو لا تستطيع الإرساء، أو كان الإرساء يضر بالراكبين أو يخاف تعفن الجثة فإنها يرمى بها في البحر وتنتقل بشيء لترسب إلى غريق الماء. وعليه فلا يجوز إحراق الميت كما يفعل مجوس الهند، وكان يفعله بعض الرومان، ولا وضعه لكواسر الطير كما كان يفعل مجوس الفرس " (ابن عاشور، 1984 هـ).

﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا (26)﴾ من الإنسان والحيوان والنبات. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيًا شَامَخَاتٍ﴾ جبلاً ثوابت طوآلاً فيها ما لم يعرف ولم يرى، ﴿وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27)﴾ بخلق الأنهار والمنايع فيها، وانحدار المياه من الجبال إلى الوديان.

المطلب الثاني: الهدايات المستتبطة:

1. وجود الإنسان وحياته الأولى دليل وبرهان على بعثه وحياته الأخرى، فالذي خلقه من ماء مهين قادر على أن يعيده كما بدأه أول مرة.
2. آيات الله في الكون شواهد ناطقة وبراهين جلية على إمكانية البعث.
3. دواء الكبر والعجب والتفكر في النفس والرجوع إلى الأصل وهو الماء المهين الذي خلق منه بنو آدم.

المبحث الرابع: سياق العود إلى مشاهد القيامة

بعد تقرير حقيقة هذا اليوم بالأدلة القاطعة والشواهد الساطعة يعود السياق لأحوال هذا اليوم العصيب وشدائده المتتابعة ومشاهده المتباينة.

قال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (33) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ (35) وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيْعَتَهُمْ (36) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فِكِيدُونَ (39) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونَ (41) وَقَوَائِكُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبَأَى حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾ [المرسلات: 29-50].

المشهد الأول: قال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (33) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)﴾.

يزجر الكفار ويساقون من القبور إلى أرض المحشر، قد أثقلتهم الذنوب وأرهقتهم الكروب وسودتهم الخطايا، وهم بين توبيخ وتقرع: ﴿انطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29)﴾ من العذاب.

﴿انطَلِقُوا﴾ تكرر الأمر زيادة في التوبيخ والتهكم أو لاختلاف الوجهة فأمرهم أولاً بانطلاق عامة، ثم حدد الوجهة فقال ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ (30)﴾ وقرأ يعقوب على الإخبار عن امتثالهم للأمر اضطراراً، بعد أن كانوا في الدنيا معرضين معاندين (ابن الجزري).

﴿إِلَى ظِلِّ﴾ يعني ظل دخان جهنم، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلِّ مِّنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)﴾ [الواقعة: 42-44]. ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ (30)﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب.

"وشعبها الثلاث كونها من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم. وعن قتادة: هو الدخان شعبة عن يمينهم وأخرى عن يسارهم والثالثة من فوق، تظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش" (النيسابوري، 1416 هـ).

﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ تهكم بهم، فهو لا يشابه الظل إلا في اسمه فهو لا يعني الاسترواح، بل هو ظل من دخان خانق ولهيب حارق، نكاية بهم وانتقاماً منهم، كما انطلقوا في الدنيا إلى الظل زائل.

المشهد الثاني: قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (33) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)﴾ لفظة مفاجئة إلى مشهد آخر من المشاهد الرهيبة التي تحيط بالكفار، مشهد جهنم، والشرر يتطاير منها حنقاً وغيظاً، وهي تتربص بإعداء الله ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّرٍ كَالْقَصْرِ (32)﴾ أي كل شرارة ﴿كَالْقَصْرِ﴾ في عظمها.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ﴾ جمع جمال أو جمالة جمع جمل. ﴿صُفْرٌ﴾ فإن الشرار بما فيه من النار يكون أصفر، وقيل سود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة، والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص { جِمَالَةٌ } وعن يعقوب { جِمَالَاتٌ } بالضم جمع جُمالة، وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة، شبهه بها في امتداده والتفافه (ابن الجزري).

ومن لطائف ودقائق هذا التشبيه العجيب: أنه شبه الشرر تارة بالقصور، وهي موضع الأمن وأعظم ما يشتهي الإنسان وينفق في تشييده الأموال، وفي هذا تهكم بالكفرة، فضلاً عن ملامسة هذا التشبيه لواقعهم وأحاديثهم وأمانهم، " وكذلك لأن القصر موضع الأمن وتشبيه الشرارة به إشارة إلى أن الكافر إنما يعذب بأفة من الموضع الذي يتوقع منه الأمن وهو دينه وملته التي ظن أنه منها على شيء" (النيسابوري، 1416 هـ).

كما شبهه مرة ثانية بالجمال، وهي أعز ما كانت العرب تملكه ولا يزال، ووجه التشبيه: أن الإبل إذا نفرت وشردت متتابعة نال من وقع في طريقها بلاء شديد. فتشبيه الشرر بها يفيد كمال الضرر، أو شبه الشرر في ضخامته بالقصور الشاهقة وفي صفوته بالجمال الصفر.

﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34)﴾ عند معاينة هذا الهول ومكابدة هذا العذاب.

المشهد الثالث: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ (35) وَلَا يُؤَدُّنَ لَهُمْ فَيْعَتَهُمْ (36) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37)﴾ مواقف متباينة ومشاهدة مختلفة، لكنها تتفق فيما تحمله من الويلات والأحوال، والترويع والإذلال، فمرة يصابون بالكبح، تارة يمتنعون

من النطق، ولو للاعتذار والإقرار ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ (35)﴾، كلام مستأنف مسوق لبيان الحالة في ذلك اليوم، فويل لهم هذا اليوم، وقد منعوا من الكلام (درويش، 1415 هـ).

المشهد الرابع: قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (39) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)﴾

يجمع الله تعالى الأولين والآخرين ليفصل بين الخلائق، ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته في محكمة عادلة فاصلة، وفق ميزان دقيق، ويتحدهم الله تعالى ويتهمهم بهم ويوبخهم على ما كان منهم في الدنيا من كذب وخداع، وهم يعلمون أن الحيل يومئذٍ منقطعة لا سبيل لهم إليها، ولو تمكنوا منها ما نعتهم، وهذا في نهاية التوبيخ وغاية التقرير فلماذا عقبه بقوله ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40)﴾.

المشهد الخامس: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45)﴾.

ينعطف السياق من الحديث عن تلك اللفحات الحارقة إلى نفحات عطرة، فينتقل من وصف الجحيم إلى وصف حال أهل النعيم.

ففي مقابل هذا المشهد الرهيب والموقف العصيب، وبينما الكفار يقاسون تلك الشدائد الموبقة، في هذا اليوم العصيب الذي يتبدى للمتقين بصورة أخرى فهو بالنسبة لهم يوم أغر باسم، يوم مشرق وضاء، لطالما انتظروه واستعدوا له بصالح الأعمال، وها هو أتاهم يزف إليهم البشائر، ويهب عليهم بالنسائم، وهم في ظلال وعيون. وكلام مستأنف مسوق لذكر أحوال المؤمنين على سبيل الإيجاز بعد أن ذكر أحوال الكفار على سبيل الإطناب ليتم التعادل بين هذه السورة والسورة التي قبلها وهي هل أتى على الإنسان فقد ذكر في تلك السورة أحوال الكفار على سبيل الإيجاز وأطنب في ذكر أحوال المؤمنين، وإن واسمها وفي ظلال خبرها وعيون عطف على ظلال (درويش، 1415 هـ).

وما أجمل قول القشيري: " اليوم ... في ظلال العناية والحماية، وغدا ... هم في ظلال الرحمة والكلاءة.

اليوم.. في ظلال التوحيد، وغدا.. في ظلال حسن المزيد. اليوم.. في ظلال المعارف، وغدا.. في ظلال اللطائف.

اليوم.. في ظلال التعريف، وغدا.. في ظلال التشريف" (النيسابوري، 1416 هـ).

ظلال وارفة، وأشجار مورقة، وعيون مندفقة، وقصور مزدانة متأنقة، وفواكه شهية طيبة ونعيم روحي، وحفاوة بالغة، وترحيب وإكرام، وثناء عطر من القدوس السلام، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)﴾، تعليل للأمر بالأكل والشرب أي أن ذلك ديدنا ودأبنا نكافئ المحسن على إحسانه كما نجزي المسيء على مساءته، وإن واسمها وكذلك نعت مقدم لمصدر محذوف وجملة نجزي خبر إننا والمحسنين مفعول به (درويش، 1415 هـ).

﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45)﴾ تزداد حسرتهم وألامهم عندما يرون المتقين في ظلال وعيون ويشهدون ما هم فيه من كرامة، فيشعرون بالندم على ما فاتهم والتقصير في حق أنفسهم، فالويل لهم من هول هذا اليوم، يوم الحسرة والندامة.

ختم السورة: قال تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبَأَىٰ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46)﴾ خطاب للمشركين وتهديد لهم، فليأكلوا في الدنيا ما طاب لهم، وليتمتعوا فيها بما راق لهم، فإنها حياة ذاهبة وعيشة منفضية ومتاع قليل، وأين هذه المطاعم الفانية والمتع الزائلة والأعراض الدنيوية من نعيم الآخرة المقيم! وعيشها الكريم!

وفي الآيات تعريض وتوبيخ للكفار الذين شغلتهم الشهوات وصرفتهم الملذات عن التفكير في هذا المصير المحتوم.

والجملة مقول قول محذوف وهذا المحذوف في محل نصب على الحال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون وتمتعوا عطف عليه وقليلًا منصوب على الظرف الزمانية والتي لا تلبث أن تنتهي بموتكم ودثوركم وهو على كل حال ومهما امتد وأنسى فيه قليل زائل، وشيك مسرع، إذا ما قيس إلى مدد الآخرة وأيامها الطويلة، وجملة إنكم مجرمون تعليل للتهديد المفهوم من الأمر بالأكل والتمتع بظل زائل، ولون حائل، وسراب غرار، وإن واسمها ومجرمون خبرها. وعبرة الكشاف: «فإن قلت: كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة؟ قلت: يقال لهم

ذلك في الآخرة إيداناً بأنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيراً بحالتهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من إثارة المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله: إخواني لا تبعوا أبداً ... وبلى والله قد بعدوا، يريد كنتم أحقاء في حياتكم بأن يدعى لكم بذلك وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ما له إلا الأكل والتمتع أياماً قلائل ثم البقاء في الهلاك أبداً ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاماً مستأنفاً خطاباً للمكذبين في الدنيا، أي فيكون راجعاً إلى ما قبل قوله إن المتقين وإلى هذا ذهب الجلال وأيده القرطبي وأبو حيان (درويش، 1415 هـ).

فويل للمكذبين حين يرون العذاب، ويويل لهم عندما يرون كرامة المتقين، ثم الويل لهم حين ينادى عليهم نداء الزجر والتقريع، وهم بين الزقوم والضريع فيقال لهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47)﴾ يذكرون بجرائمهم التي أردتهم، وذنوبهم التي أثقلتهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)﴾ إذا قيل لهم اركعوا في هذا اليوم لا يركعون، حيث حرموا من لذة الركوع كما حرموا أيضاً من لذة السجود، كما قال سبحانه ﴿يَوْمَ يَكْتُفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَبِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)﴾ [القلم: 42-43].

كذلك وهم في الدنيا إذا دعوا إلى الركوع لله وحده أعرضوا.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49)﴾: "ومن الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق. (فبأي حديث بعده يؤمنون) أباالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلاً عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفك مبيِّن؟" (السعدي، 2000م).

﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ بعد هذا البيان إن فاتهم الإيمان فمتى يؤمنون! وبأي حديث بعد القرآن يصدقون!

"والذي لا يؤمن بهذا الحديث الذي يهز الرواسي، وبهذه الهزات التي تزلزل الجبال، لا يؤمن بحديث بعده أبداً. إنما هو الشقاء والتعاسة والمصير البائس، والويل المدخر لهذا الشقي المتعوس!" (قطب، 1412).

وقال ابن عاشور: "والمقصود أن القرآن بالغ الغاية في وضوح الدلالة ونهوض الحجة فالذين لا يؤمنون به لا يؤمنون بكلام يسمعون عقب ذلك" (ابن عاشور، 1984 هـ).

بعد أن بين الله لهم من الدلائل والبراهين القاطعة على وحدانيته وأنه وحده لا شريك له وأن أمامهم يوم الفصل بأوضح البيان وساطع البرهان فبأي كلام بعد القرآن يؤمنون.

ولا شك أن النسق الصوتي في رعاية الفاصلة قد برز كمعلم صوتي بارز تمثل في فواصل الآيات، إذ تكرر حرف النون بعد حرف المد (الياء)، وقد تمثلت في سات منها حذف حرف ما رعاية للبعد الصوتي وعناية بالنسق القرآني كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (39)﴾، و﴿فَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42)﴾، ومنها مراعاة لجانب نحوي كما في قوله تبارك اسمه ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36)﴾، وقد تبين الإعجاز في هذا التناسق الرائع بين فواصل الآيات، مما أضاف جرساً موسيقياً يأخذ بالألباب ويشد الانتباه إلى المعاني.

ويلاحظ أن سياق العذاب في الآيات السابقة تلازم الجمل الفعلية وتلاحقها بتسارع عجيب يشي بالشدّة والغضب وتأكيد ما يستحق هؤلاء (الكفار) من العذاب فيبدأ بفعل الأمر في آيتين واحدة تلو الأخرى (انطَلِفُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انطَلِفُوا إِلَى ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30)) ثم تستمر الجملة الفعلية في التتابع لتدل على استمرار العذاب الواقع عليهم بسبب تكذيبهم ولا يغني، ترمي بشرر، لا ينطقون، ولا يؤذن لهم، فيعتذرون. أما سياق النعيم فقد تلازمة الجمل الاسمية التي تدل على ثبوت النعيم للمؤمنين المحسنين (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44)) فضلاً عن التذكير الذي لحق (ظلال، عيون، فواكه) لأن هذه النعم التي يحظى بها المحسنون تعد من عالم الغيبيات التي لا يدركها البصر بل قد تتخيلها البصيرة.

المطلب الثاني: الهدايا المستتبطة:

1. عذاب الكفار عذاب معنوي فوق أنه حسي، فلقلب والوجدان منه نصيب كما للحواس بأسرها، فتوبخ وتقريع وتهكم، من ذلك ما ورد في المشهد الأول من ظل يدعون إليه، بيد أنه لا يشابه الظل إلا في اسمه فهو لا يعني الاسترواح، بل هو ظل من دخان خانق ولهب حارق، كما كان الكفار والمنافقون يطلقون الشعارات البراقة الجوفاء في الدنيا ويتلاعبون بالمصطلحات

- والعبارات فيندفع بها الناس، ويلوذ بها الضعفاء وهي في الحقيقة لا تعني إلا نقيضها، إذ يشهد الواقع بخلافها كما نرى في واقعنا من أذعيا التحرير والتنوير والعلمانية والحداثة والتغريب وغيرها من الدعوات المتناقضة مع نفسها.
2. نعيم الجنة نعيم أبدي، فيها تمتزج متع الأجساد مع نعيم الأرواح، فهو لذة للحس، وبهجة للنفس، وغذاء للروح، وقوت للقلب.
3. تصوير القرآن الدقيق لمشاهد القيامة وهولها، ليعيش الإنسان هذا الحدث بجميع أبعاده ويراه بعين البصيرة، فيسارع إلى الاستعداد له.
4. اقتران الوعد بالوعيد وتزواج الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية البليغة وسماته الفريدة.
5. على الداعية أن يستفيد من منهج القرآن الحكيم ويقتبس من أساليبه المتنوعة في خطاب المدعوين، بما يتناسب مع أحوالهم.

الخاتمة:

- بحمد الله تعالى ومنته وتوفيقه أتممت هذا البحث بما يسره الله تعالى لي من جمع وترتيب وتحليل، وتضمن هذا البحث دلالة السياق في سورة المرسلات، وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:
1. بين البحث في سورة المرسلات أن السياق الأول هو سياق القسم وجوابه، إذ امتازت السورة بقصره على مستوى السياق اللغوي، مقارنةً بباقي سياقات السورة، لأنه سياق قسم، والقسم يدل على وجود شيء عظيم مقسم.
2. كذلك بين السياق الذي تمثل في سياق الاستدلال على القيامة من خلال علاماتها، حيث تميز بالإطناب؛ لأنه يتناسب مع غرض السورة؛ لأنها تستدل على شيء عظيم، وهذا الشيء العظيم هو يوم القيامة، إذ ذكرت تفاصيله، ثم الاستدلال على إمكانية البعث والنشور من خلال الإنكار على المنكرين المكذبين مع بيان قدرة الله عز وجل على ذلك، وذكر نعم الله سبحانه وتعالى على البشر.
3. بين البحث سياق تكذيب الكافرين وكفرهم، إذ امتاز بأسلوب الأمر، والوصف المتكرر لأحوال النار. وبعد ذلك جاء وصف النعيم الذي ينتظره المتقون المحسنون، ثم العودة إلى مصير المجرمين، وبيان إنهم لم ينقادوا لأوامر الله سبحانه.
4. تكررت الآية "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ" عشر مرات، إذ اختصت كل آية منها بسياقها الذي وردت فيه زيادة في الترهيب والترغيب، وهي لازمة الإيقاع فيها، مثل ما تكررت في سورة الرحمن بعد كل نعمة من نعم الله على العباد "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ"، كما في سورة القمر أيضاً، بعد كل مشهد من مشاهد العذاب "فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي"، وتكرارها هنا على هذا النمط يعطي سمة خاصة للسورة.

أما التوصيات فهي كالتالي:

1. تدبر الآيات القرآنية ففيها علاج لكل قضايا الإنسانية ومشاكل البشرية.
2. على المسلمين شكر الله على نعمائه والبعد عن الإسراف والتبذير والبطر وكفر النعمة، فبالشكر تدوم النعم والكفر سبب لزوالها.
3. إنفاق المال في الوجوه المباحة ليكون المال نعمة لا نقمة وسبيلاً للوصول بصاحبه إلى الدرجات العلا في الجنة.
4. أوصي باستمرار البحث في البيئة الصرفية في ألفاظ القرآن الكريم واستخراج دلالتها المعنوية، فهي تثري المكتبة العلمية بما هو جديد.
5. أوصي بإجراء الأبحاث العلمية على ألفاظ القرآن الكريم متتبعه أنواع الدلالة المختلفة.

المصادر والمراجع:

- السخاوي, ع (1997). م. (أقوى العدد في معرفة العدد، وهو ضمن كتابه جمال القراء وكمال الإقرار ؛ (Vol. 1). د. العطية & د. خرابة (Eds.) دمشق - بيروت: دار المأمون للتراث.
- القشيري, ع. (n.d.). لطائف الإشارات (Vol. 3). البسيوني (Ed.), مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- درويش, م. أ (1415). هـ. (إعراب القرآن وبيانه (Vol. 4). دمشق: دار ابن كثير.
- كنوش, ع. (n.d.). الدلالة السياقية عند اللغويين.
- ابن الجزري, م. (n.d.). النشر في القراءات العشر). ع. م. الضباع (Ed.), المطبعة التجارية الكبرى تصوير دار الكتاب العلمية.
- ابن زنجلة, ع. م. (n.d.). حجة القراءات). س. الأفغاني (Ed.), دار الرسالة.
- ابن عاشور, م (1984). هـ. (التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
- أبي طالب, م (1974). م. (الكشف عن وجوه القراءات السبع (Vol. 1). دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- الترمذي, م. ع (2009). م. (السنن الترمذي الجامع الكبير كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم-باب سورة الواقعة حديث 3219، وقال: " حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه). "ش. الأرنؤوط & ع. حرز الله (Eds.) بيروت: الرسالة العالمية.
- الحاكم, م. ع (2014). م. (المستدرک على الصحيحين وقال: هذا حديث صحيح على شرط ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: " على شرط البخاري (Vol. 1). "دار التأصيل.
- الداني, (1994). م. (البيان في عد أي القرآن). غ. ق. الحمد (Ed.), الكويت: مركز المخطوطات والتراث.
- الرازي, م. ع (1420). هـ. (مفاتيح الغيب، (Vol. 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- السعدي, ع (2000). م. (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (Vol. 1). ع. م. اللويحق (Ed.), مؤسسة الرسالة.
- الشنقيطي, م (1995). م. (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت - لبنان: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
- العوادي, م. (n.d.). البحث الدلالي في تفسير الميزان.
- القرطبي, م. أ. (1964). الجامع لأحكام القرآن (Vol. 2). أ. البردوني & إ. أطفيش (Eds.), القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المطيري, ع. ع. (2008). السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال ابن كثير. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، السعودية. 71،
- النيسابوري, ن (1416). هـ. (غرائب القرآن و رغائب الفرقان (Vol. 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- قطب, س. (1412). في ظلال القرآن (Vol. 17). القاهرة: دار الشروق.